لا مستقر للسحر بجانب المعجزة عندئذ خروا سجدا وقالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهارون ، وأنابوا إلى الله مستغفرين(١) .

قال المازرى والفرق بين المعجزة والسحر والكرامة أن السحر يكون بمعاناة أقوال وأفعال حتى يتم للساحر ما يريد والكرامة لا تحتاج إلى ذلك بل أنها تقع غالبا اتفاقا ، وأما المعجزة فتمتاز عن الكرامة بالتحدى .

ونقل إمام الحرمين الإجماع على أن السحر لا يظهر إلا من فاسق ، ونقل النووى فى زيادات الروضة عن المتولى نحو ذلك ، (هذا) وينبغى أن يعتبر بحال من يقع الخارق منه فإن كان متمسكا بالشريعة متجنبا للموبقات فالذى يظهر على يده من الخوارق كرامة وإلا فهو سحر لأنه ينشأ من أحد أنواعه كإعانة الشياطين .

موقف المنكرين لحقيقة السحر وتأثيره من الحديث الذى رواه البخارى فى سحر النبى ﷺ :

أنكر بعض المبتدعة الحديث الذى رواه البخارى والذى يفيد أن لبيد ابن الأعصم قد سحر النبى ﷺ وأن سحره أثر فيه عليه الصلاة والسلام ، وزعموا أنه يحط من منصب النبوة ويشكك فيها ، وقالوا كل ما أدى إلى ذلك فهو باطل ، وزعموا أن تجويز هذا يؤدى إلى عدم الثقة بما شرعه محمد من الشرائع إذ يحتمل على هذا أن يخيل إليه أنه يرى جبريل وليس هو ، ثم أنه يوحى إليه بشيء ولم يوح إليه بشيء .

ويرد على ما استدل به هؤلاء بأن الدليل قد قام على صدق النبى ﷺ فيما يبلغه عن الله تعالى وعلى عصمته فى التبليغ ، والمعجزات شاهدة بتصديقه

---

(١) انظر سورة طه الآيات ٦٩ ، ٧٠ ، ٧٣

وتجويز ما قام الدليل على خلافه باطل وأما ما يتعلق ببعض أمور الدنيا التى لم يبعث لأجلها ولا كانت الرسالة من أجلها فهو فى ذلك عرضة لما يتعرض له البشر كالأمراض فغير بعيد أن يخيل إليه فى أمر من أمور الدنيا مالا حقيقة له مع عصمته عن مثل ذلك فى أمور الدين .

قال المازرى وقد قال بعض الناس إن المراد بالحديث أنه كان ﷺ يخيل إليه أنه يطىء زوجاته ولم يكن وطأهن وهذا كثيراً ما يقع تخيله للإنسان فى المنام فلا يبعد أن يخيل له فى اليقظة.

قال الحافظ بن حجر وقد ورد هذا صريحا فى روايه بن عيينه ولفظها (حتى كان يرى أنه يأتى النساء ولا يأتيهن وفى رواية الحميدى أنه يأتى أهله ولا يأتيهم(١) .

وممن أنكروا صحة هذا الحديث الإمام محمد عبده عند تفسيره بسورة الفلق فقد أنكر الحديث وأنكر تأثير السحر مطلقاً فى النبى ﷺ وقال أنه يخل بمقام النبوة بل أنكر أن للسحر حقيقة وتأثيراً مطلقا فقال أن المراد بالنفاثات فى العقد فى قوله تعالى (ومن شر النفاثات فى العقد) النمامون المقطعون لروابط الألفة المحرقون لها بما يلقونه من ضرام نمائمهم.

وإنما جاءت العبارة فى الآية لأن الله تعالى جل شأنه أراد أن يشبههم بأولئك السحرة المشعوذين الذين إذا أرادوا أن يحلوا عقدة المحبه بين المرء وزوجه مثلا فيما يوهمون به العامة عقـــدوا عقدة ثم نفثوا فيها وحلوها ليكون ذلك حلا للعقدة التى بين الزوجين .

وقد عقد مقارنة بين النميمة والسحر فقال : ـــ النميمة تشبه أن تكون ضربا من السحر لأنها تحول مابين الصديقين من محبة إلى عداوة بوسيلة

---

(١) فتح البارى حـ ٢١ ص ٣٥٧

خفية كاذبة ، والنميمة تضلل بين الصديقين كما يضل الليل من يسير فيه بظلمته ولهذا ذكرها عقب ذكر الغاسق إذا وقب ولا يسهل على أحد أن يحتاط ولهذا التحفظ من النمام فانه يذكر عنك ما يذكر لصاحبك وأنت لا تعلم ماذا يقول ولا ما يمكن أن يقول .

وإذا جاءك فرعا دخل عليك بما يشبه الصدق حتى لا يكاد يمكن تكذيبه فلابد لك من قوة أعظم من قوتك تستعين بها وهى قوة الله، وبعد أن قارن بين النميمة والسحر عبر عن رأيه فيم روى أن النبي ﷺ سحر وأثر فيه السحر فقال: وقد رووا هنا أحاديث أن النبي ﷺ سحره لبيد بن الأعصم وأثر سحره فيه حتى كان يخيل إليه إنه يفعل الشيء وهو لا يفعله ، أو يأتى شيء وهو لا يأتيه وأن الله انبأه بذلك وأخرجت مواد السحر من بئر وعوفى ﷺ مما كان نزل به من ذلك ونزلت هذه السورة ولا يخفى أن تأثير السحر فى نفسه عليه السلام حتى يصل به الأمر إلى أنه يظن أنه يفعل شيئا وهو لا يفعله ليس من قبيل تأثير الأمراض فى الأبدان ولا من قبيل عروض السهو والنسيان فى بعض الأمور العادية بل هو ماس بالعقل آخذ بالروح وهو ما يصدق فيه قول المشركين (إن تتبعون إلا رجـــلا مسحوراً) وليس المسحور عندهم إلا من خولط فى عقله وخيل له أن شيئا يقع وهو لا يقع فيخيل إليه أنه يوحى إليه ولا يوحى إليه .

وقد وقع فى خلد كثير من المقلدين الذين لا يعقلون ما هى النبوة ولا ما ينبغى لها أن الخبر بتأثير السحر قد صح فيلزم الإعتقاد به وعدم التصديق به من بدع المبتدعين لأنه ضرب من أنكار السحر وقد جاء القرآن بصحة السحر فانظر كيف ينقلب الدين الصحيح والحق الصريح فى نظر المقلد بدعة نعوذ بالله يحتج بالقرآن على ثبوت السحر ويعرض عن القرآن فى نفيه عنه ﷺ وعده من افتراء المشركين عليه .

ويؤول فى هذه ولا يؤول فى تلك مع أن الذى قصده المشركون ظاهر لأنهم كانوا يقولون أن الشيطان يلابسه عليه السلام — وملابسة الشيطان

تعرف بالسحر عندهم وضرب من ضروبه ، وهو بعينه أثر السحر الذى نسب إلى لبيد بن الأعصم فإنه قد خالط عقله وإدراكه فى زعمهم ثم قال والذى يجب اعتقاده أن القرآن مقطوع به وأنه كتاب الله بالتواتر عن المعصوم ﷺ فهو الذى يجب الإعتقاد بما يثبته وعدم الإعتقاد بما ينفيه .

وقد جاء بنفى السحر عنه عليه السلام حيث نسب القول بإثبات حصول السحر له إلى المشركين أعدائه ووبخهم على زعمهم هذا فإذن هو ليس بمسحور قطعاً ، ثم بين موقفه من الحديث فقال :

١ — وأما الحديث على فرض صحته فهو آحاد والآحاد لا يؤخذ بها فى باب العقائد وعصمة النبى من تأثير السحر فى عقله عقيدة من العقائد لا يؤخذ فى نفيها عنه إلا باليقين ولا يؤخذ فيها بالظنى والمظنون .

٢ — على أن الحديث الذى يصل إلينا عن طريق الآحاد إنما يحصل الظن عند من صح عنده ، أما من قامت له الأدلة على أنه ليس بصحيح فلا تقوم به عليه حجة .

٣ — وعلى أى حال علينا أن نفوض الأمر فى الحديث ولا نحكمه فى عقيدتنا ونأخذ بنص الكتاب وبدليل العقل فإنه إذا خولط النبى فى عقله كما زعموا جاز عليه أنه يظن أنه بلغ شيئاً وهو لم يبلغه ، أو أن شيئاً نزل عليه وهو لم ينزل عليه ، والأمر ظاهر لا يحتاج إلى بيان .

٤ — ثم إن نفى السحر عنه لا يستلزم نفى السحر مطلقاً فربما جاز أنه يصيب السحر غيره بالجنون نفسه ، ولكن من المحال انه يصيبه لأن الله عصمه ثم قال على أن نافى السحر بالمرة لا يجوز أنه يعد مبتدعا لأن الله تعالى ذكر ما يعتقد به المؤمنون فى قوله تعالى (آمن الرسول) وفى غيرها من الآيات ووردت الأوامر بما يجب على المسلم أن يؤمن به حتى يكون مسلما ولم يأت فى شىء من ذلك ذكر السحر على أنه مما يجب الإيمان بثبوته أو وقوعه على

الوجه الذي يعتقد به الوثنيون كل في ملة بل الذي ورد في الصحيح وأن تعلم السحر كفر فقد طلب منا أن لا ننظر بالمرة فيما يعرف عند الناس بالسحر ويسمى باسمه.

ثم بين رأيه في المراد بالسحر في القرآن فقال:

جاء ذكر السحر في القرآن في مواضع مختلفة وليس من الواجب أن نفهم منه ما يفهم هؤلاء العميان فان السحر في اللغة صرف الشيء عن حقيقته.

قال الفراء في قوله تعالى (أنى تسحرون) أي أنى تؤفكون وتصرفون. سحره وأفكه بمعنى واحد.

ثم قال وماذا علينا لو فهمنا من السحر الذي يفرق بين المرء وزوجه؟ تلك الطرق الخبيثة الدقيقة التي تصرف الزوج عن زوجه والزوجة عن زوجها؟

وهل يبعد أن يكون مثل هذه الطرق مما يتعلم وتطلب له الأساتذة ونحن نرى أن كتبا ألفت ودروسا تلقى لتعليم أساليب التفرقة بين الناس لمن يريد أن يكون من عمال السياسة في بعض الحكومات ثم بين السبب في ذكر المرء وزوجه والاقتصار عليهما فقال:

وقد يكون ذكر المرء وزوجه من قبيل التمثيل واظهار الأمر في أقبح صورة أي يقع من أمر ما يتعلمونه من ضروب الحيل وطرق الافساد أن يتمكنوا من التفريق بين المرء وزوجه وسياق الآية لا يأباه، وذكر الشياطين لا يمنعنا من ذلك بعد أن سمى الله خبثاء الانس المنافقين بالشياطين قال (وإذا خلوا إلى شياطينهم) وقال (شياطين الانس والجن يوحى بعضهم إلى بعض).

وللامام محمد عبده رأي في سحر سحرة فرعون نذكره اتماما لبيان رأيه في مسألة السحر كلها فهو يرى أن سحر سحرة فرعون كان ضربا من

ضروب الحيلة ولذا قال (يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى) وما قال انها تسعى بسحرهم قال يونس يقول العرب ما سحرك عن وجه كذا ؟ أى ما صرفك عنه .

ولم يرتض الاستاذ الإمام أن سورة الفلق نزلت فى سحر النبى ﷺ وأيد ما ذهب إليه بما روى عن بعض الصحابة والتابعين أن المعوذتين مكيتان فقال :

وكيف يصح أن تكون هذه السورة (أى سورة الفلق) نزلت فى سحر النبى ﷺ مع أنها مكية فى قول عطاء والحسن وجابر وفى رواية كريب عن ابن عباس — وما يزعمونه من أن السحر انما وقع فى المدينه . ولكن من تعود القول بالمحال . لا يمكن الكلام معه بحال نعوذ بالله من الخبال . ا.هـ(١)

وما ذهب إليه الاستاذ الامام غير مسلم لأن انكار السحر من حيث هو أمر لا نسلمه له أولا لأن السحر ثابت بنص القرآن فى شأن سحر سحرة فرعون وفى شأن هاروت وماروت وقد كان موسى عليه السلام يخيل إليه من سحرهم أن حبالهم وعصيهم تسعى ، ولهذا أوجس فى نفسه خيفة منهم .

ثانيا : قد ثبت ضرر السحر إذا شاء الله وذلك بنص القرآن (وما هم بضارين به من أحد الا باذن الله) وقد ينتهى الاضرار إلى الصرع أو الانهيار العصبى أو الجنون .

ثالثا : نقل تلميذه الشيخ رشيد رضا وقائع عجيبة عن السحر فى الهند والتبت فى كتابه (الوحى المحمدى) نقلا عن كتاب (العالم غير المنظور) للدكتور الكسندر الطبيب الانجليزى بمستشفى الامراض النفسية بلندن ، لهذا كان لا ينبغى للاستاذ الامام أن ينفى السحر بصفة عامة ويؤول ما جاء منه فى القرآن بضروب الحيل وطرق الافساد مع أنه ثابت فى الواقع وله

---

(١) انتهى ملخص من تفسير جزء عم للشيخ محمد عبده ص ١٨٣، ١٨٥

الآره الضاره وقد كان معروفا عند قدماء المصريين صناعة لأهل بابل وهو واضح فى قصة سحرة فرعون حيث أثر سحرهم فى الحبال والعصى بطريقة جعلت موسى عليه السلام يخيل إليه انها تسعى فلما ألقى عصاه ابتلعت ما سحروه(١) .

ولما تفسيره السحر الذى يفرق به بين المرء وزوجه بالنميمة فهو ضرب من التأويل المبالغ فيه وما دام الله تعالى أخبر أن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وأن الناس تعلموا من الملكين هاروت وماروت ما يفرقون به بين المرء وزوجه . فليس هناك مجال لتأويل هذا الذى سماه سحرا بالنميمة فلو كان من باب النميمة لعرفه القرآن بذلك ولو سلمنا أن سحر سحرة فرعون كان من باب التخيل فلا يصح هذا دليل على نفى وجود السحر وتأثيره بالكلية .

وأما انكار الاستاذ الامام لحديث سحر النبى ﷺ فقد خالف به فى ذلك جمهور علماء المسلمين ولم يقل به الا المعتزله وقلة من غيرهم والحديث ثابت فى صحيح البخارى وغيره من كتب السنه والتشكيك فى ما صحت روايته من الحديث أمر خطير لا نه يفتح الباب لاعداء الاسلام كى يشككوا ويطعنوا فى السنه المطهره وهى المصدر الثانى للتشريع بعد القرآن الكريم .

وقد خالفه فى موقفه من الحديث تلميذه الشيخ رشيد رضا قال فى تفسيره للفاتحه والسور الست القصار ص ١٣٩

وقد بحثت هذه المسأله مرارا ، آخرها فى الرد على مجلة علوم الأزهر (نور الإسلام) فى زعمها المفترى انى كذبت حديث البخارى فى سحر النبى ﷺ فبينت أن الحديث الصحيح فى هذه المسأله عن عائشه رضى الله عنها ، توهم بعض رواياته ما هو أعم من المعنى الخاص الذى آرادته وهو مباشرة الزوجيه بين النبى ﷺ وبينها فنقول :

(١) قصة السحر والسحرة ص ٢٣٥

كان يخيل إليه أنه يفعل الشيء وهو لا يفعله كناية عن هذا الشيء الخاص لا العام في كل شيء فلا يدخل في شيء من أمور التشريع ولا غير غشيان الزوجه من الأمور العقليه أو الاعراض البدنيه فضلا عما كان يريد الذين يرمون الأنبياء بالسحر والجنون لأن أمورهم فوق المعقول عند أولئك الكافرين فالمسأله محصورة فيما يسمونه حتى الآن (الربط أو العقد) أي عقد الرجل المانع من مباشرة زوجته فقط اهـ .

وقد ذهب أئمة الحديث الى أن غاية ما تدل عليه أحاديث السحر : — أن ذلك السحر أثر في بدنه ﷺ دون روحه وعقله ، فكان تأثيره من الأعراض الجسديه التي لم يعصم منها الانبياء .

وأما قول الاستاذ الامام أن المعوذتين مكيتان على قول بعض الصحابه والتابعين فيجاب عنه بأن لامانع من تكرر نزولهما بمكة مره وبالمدينة مره بعد استخراج ما صنعه لبيد بن الاعصم من سحر النبي ﷺ من البئر .

وقد فسر الحسن البصري النفاثات بالسواحر أخرجه الطبري بسند صحيح وذكره أبو عبيده أيضا في المجاز قال النفاثات ، السواحر ، واخرج الطبري أيضا عن جماعة من الصحابه وغيرهم أن النفث في العقد هو السحر .

وقد وقع في حديث إبن عباس فيما أخرجه البيهقي في الدلائل بسند ضعيف في آخر قصة السحر الذي سحر به النبي ﷺ أنهم وجـدوا وترا فيه احدى عشرة عقده ، وأنزلت سورة الفلق والناس وجعل كلما قرأ آية انحلت عقده وأخرجه إبن اسحاق بسند آخر منقطع عن بن عباس أن عليا وعمارا لما بعثهما النبي ﷺ لاستخراج السحر وجدا طلعة فيها احدى عشرة عقدة فذكر نحوه . وهاتان الروايتان تدلان على أن المعوذتين قد نزلتا بالمدينة وعلى أن المراد بالنفاثات في العقد السواحر اللاتي يعقدن العقد وينفثن فيها بقصد السحر .

ولا حجة للأستاذ الإمام وغيره ممن قالوا بأن السحر تخيل لا حقيقة له بقوله تعالى فى شأن سحرة فرعون (يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى) لأنها وردت فى قصة سحرة فرعون وكان سحرهم كذلك ولا يفهم منه أن جميع أنواع السحر تخيل . وممن ذهبوا إلى أن سحر سحرة فرعون كان ضربا من ضروب التخيل أبو بكر الجصاص فقد قال فى كتابه أحكام القرآن أخبر الله تعالى أن الذى ظنه موسى من أنها تسعى لم يكن سعياً وإنما كان تخيلا وذلك أن عصيهم كانت مجوفة وقد ملئت زئبقاً و كذلك الحبال كانت من أدم محشوة زئبقاً وقد حفروا قبل ذلك أسرابا وجعلوها آزاجا وملؤها ناراً فلما طرحت على ذلك الموضع وحمى الزئبق حركها لأن من شأن الزئبق إذا أصابه النار أن يطير فلما أثقلته كثافة الحبال والعصى صارت تتحرك بحركته ، فظن من رآها أنها تسعى ولم تكن تسعى حقيقة .

الرأى الراجح :

وبعد أن ذكرت أدلة المثبتين لحقيقة السحر وأثره وأدلة القائلين بأن لا حقيقة له ولا تأثير .

أستطيع القول أن الرأى الراجح هو رأى الجمهور وهو أن السحر له حقيقة وله تأثير على النفس والجسم فإن إلقاء البغضاء بين الزوجين والتفريق بين المرء وأهله الذى أثبته القرآن الكريم ليس إلا أثراً من آثار السحر ولو لم يكن للسحر تأثير لما أمر القرآن بالتعوذ من شر النفاثات فى العقد وكثيراً ما يكون هذا السحر بالاستعانة بأرواح الشياطين فنحن نقر بأن له أثراً وضرراً ، ولكن أثره وضرره لا يصلان إلى الشخص إلا بإذن الله فهو سبب من الأسباب الظاهرة التى تتوقف على مشيئة مسبب الأسباب رب العالمين جل وعلا .

ونقر أيضاً أن منه ما يدخل فى التخيل والإيحاء النفسى وقد مر فى

ثانيا هذا البحث الفرق بين السحر والكرامة والمعجزة بما يرد استدلال المنكرين له بأن القول بأن للسحر حقيقة وتأثير يؤدى لاختلاطه بالمعجزة والكرامة وإلى احتمال ورود الكذب على خبر الأنبياء .

قال القرطبي لا ينكر أحد أن يظهر على يد الساحر خرق للعادات بما ليس فى مقدور البشر من مرض وتفريق وزوال عقل وتعويج عضو إلى غير ذلك مما قام الدليل على استحالة كونه من مقدورات البشر. قالوا ولا يبعد فى السحر أن يستدق جسم الساحر حتى يلج فى الكوات والخوخات والانتصاب على رأس قصبة والجرى على خيط مستدق والطيران فى الهواء والمشى على الماء وركوب كلب وغير ذلك، ومع ذلك فلا يكون السحر موجباً لذلك ولا علة لوقوعه ولا سبباً مولداً ولا يكون الساحر مستقلا به وإنما يخلق الله تعالى الأشياء ويحدثها عند وجود السحر كما يخلق الشبع عند الأكل والرى عند شرب الماء . ثم قال : أجمع المسلمون على أنه ليس فى السحر ما يفعل الله عنده من إنزال الجراد والقمل والضفادع وفلق البحر وقلب العصا وإحياء الموتى وإنطاق العجماء وأمثال ذلك من عظيم آيات الرسل عليهم السلام فهذا ونحوه مما يجب القطع بأنه لا يكون ولا يفعله الله عند إرادة الساحر(١) .

وقال أبو حيان اختلف فى حقيقة السحر على أقوال :

الأول : أنه قلب الأعيان واختراعها بما يشبه المعجزات والكرامات كالطيران وقطع المسافات فى ليلة .

الثانى : أنه خدع وتمويهات وشعوذة لا حقيقة لها ، وهو قول المعتزلة .

الثالث : إنه أمر يأخذ بالعين على وجه الحيلة كما فعل سحرة فرعون حيث كانت حبالهم وعصيهم مملوءة زئبقاً ، فجروا تحتها نارا فحميت الحبال والعصى وتحركت وسعت .

---

(١) الجامع لأحكام القرآن جـ٢ ص ٤٧

الرابع : أنه نوع من خدمة الجن والاستعانة بهم وهم الذين استخرجوه من جنس لطيف فلطف ودق وخفي .

الخامس : أنه مركب من أجسام تجمع وتحرق ويتلى عليها أسماء وعزائم ، ثم تستعمل في أمور السحر .

السادس : أن أصله طلسمات تبنى على تأثير خصائص الكواكب ، أو استخدام الشياطين لتسهيل ما عسر .

السابع : أنه مركب من كلمات ممزوجة بكفر وقد ضم إليها أنواع من الشعبذة والنارنجيات والعزائم وما يجرى مجرى ذلك .

ثم قال : وأما في زماننا الآن فكل ما وقفنا عليه في الكتب فهو كذب وافتراء ولا يترتب عليه شيء ، ولا يصح منه شيء البته ، وكذلك العزائم وضرب المندل والناس يصدقون بهذه الأشياء ، ويصغون إليها(١) .

ونقل بن حجر عن المازرى قوله (جمهور العلماء على إثبات السحر ، وأن له حقيقة ونفى بعضهم حقيقته وأضاف مايقع منهم إلى خيالات باطلة وهو مردود لورود النقل بإثبات السحر(٢) .

هل يباح تعلم السحر وتعليمه :

ذهب بعض العلماء إلى أن تعلم السحر مباح واستدلوا بتعليم الملكين : هاروت وماروت السحر الناس كما حكى القرآن الكريم ذلك ، وممن ذهبوا إلى هذا الرأى الفخر الرازى من علماء أهل السنة .

قال رحمه الله اتفق المحققون على أن العلم بالسحر ليس بقبيح ولا محظور

(١) تفسير البحر المحيط جـ ١ ص ٣٢٧
(٢) فتح البارى جـ ٢١ ص ٣٥٢

لأن العلم لذاته شريف لعموم قوله تعالى : (هل يستوى الذين يعلمون ، والذين لا يعلمون) .

ولو لم يعرف السحر لما أمكن الفرق بينه وبين المعجزة .فكيف يكون تعلمه حراما وقبيحاً ، ونقل بعضهم وجوب تعلمه على المفتى حتى يعلم ما يقتل به وما لا يقتل به . فيفتى به فى وجوب القصاص . وقد عقب الألوسى على ما قاله الفخر الرازى رحمه الله فقال :— والحق عندى الحرمة تبعاً للجمهور ، إلا لداعى شرعى ، وفيما قاله الإمام الرازى رحمه الله نظر .

فأما أولا : فلأن لا ندعى أنه قبيح لذاته وإنما قبحه لما يترتب عليه ، وتحريمه من باب سد الذرائع وكم من أمر حرم لذلك .

وأما ثانياً : فلأن توقف الفرق بينه وبين المعجزة على العلم به ممنوع ، ألا ترى أن أكثر العلماء أو كلهم عرفوا الفرق بينهما ولم يعرفوا علم السحر ولو كان واجباً لرأيت أعلم الناس به الصدر الأول .

وأما ثالثاً : فلأن ما نقل عن بعضهم غير صحيح لأن إفتاء المفتى بوجوب القود أو عدمه لا يستلزم معرفته علم السحر لأن صورة إفتائه على ما ذكره العلامة ابن حجر إن شهد عدلان عرفا السحر وتابا منه أنه يقتل غالباً قتل الساحر وإلا لم يقتل(١) .

هذا وقد أجاز بعض العلماء تعلم السحر لأحد أمرين :

١ — إما لتمييز ما فيه كفر عن غيره .

٢ — وإما لإزالته عمن وقع فيه .

فأما الأول فلا محظور فيه إلا من جهة الاعتقاد فإذا سلم الإعتقاد فمعرفته للشيء بمجرده لا تستلزم منعاً كمن يعلم كيفية عبادة أهل الأوثان

---

(١) روح المعانى للألوسى ج ١ ص ٣٣٩

للأوثان ، لأن كيفية ما يعلمه الساحر إنما هي حكاية قول أو فعل بخلاف تعاطيه والعمل به .

وأما الثاني : فإن كان لا يتم إلا كما زعم بعضهم إلا بنوع من أنواع الكفر أو الفسق فلا يحل أصلا وإلا جاز للمعنى المذكور .

وذهب الجمهور إلى حرمة تعلم السحر أو تعليمه لأن القرآن الكريم قد ذكره في معرض الذم ، وبين أنه كفر فكيف يكون حلالا ، كما أن رسول الله عليه الصلاة والسلام عده من الموبقات كما في الحديث الصحيح وهو قوله صلوات الله وسلامه :

(اجتنبوا السبع الموبقات ، قالوا وما هن يا رسول الله ؟ قال الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق ، وأكل الربا ، وأكل مال اليتيم والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات) .

قال بن حجر وقد استدل بقوله تعالى (واتبعوا ما تتلو الشياطين) على أن السحر كفر ومتعلمه كافر .

وقال النووي عمل السحر حرام وهو من الكبائر بالإجماع وقد عده النبي ﷺ من السبع الموبقات ، ومنه ما يكون كفر ومنه مالا يكون كفر بل معصية كبيرة ، فإن كان فيه قول أو فعل يقتضي الكفر فهو كفر ، وإلا فلا . وأما تعليمه فحرام ا . هـ(١)

وقال أبو حيان وأما حكم السحر فما كان منه يعظم به غير الله من الكواكب والشياطين وإضافة ما يحدثه الله إليها فهو كفر إجماعا لا يحل تعلمه ولا العمل به وكذا ما قصد بتعلمه سفك الدماء والتفريق بين الزوجين والأصدقاء .

وأما إذا كان لا يعلم منه شيء من ذلك بل يحتمل فالظاهر أنه لا يحل تعلمه ولا العمل به ، وما كان من نوع التخيل والدجل والشعبذة فلا ينبغي

---

(١) فتح الباري جـ ١٢ صـ ٣٥٤

تعلمه لأنه من باب الباطل ، وان قصد به اللهو واللعب وتفريج الناس على خفة صنعته فيكره اه)(١) .

ورأى الجمهور هو الصحيح لأن القول بجواز تعلم السحر وتعليمه يفتح على الناس أبواب من الشر يجب أغلاقها ، وقد يؤدي إلى إشتغال سفهائهم به زاعمين أن الشرع يبيح لهم ذلك وأيضا أباحة تعلمه وتعليمه فيها إفساح المجال للدجالين والمشعوذين للعبث بالأمه وصرف الناس عن الطريق المستقيم وهو طريق القرآن والسنة اه .

هل يعد الساحر كافرا وهل يجب قتله

إختلف الفقهاء فى حكم الساحر فروى عن أبى حنيفة أنه قال : الساحر يقتل إذا علم أنه ساحر ولايستتاب ولايقبل قوله أنى أترك السحر وأتوب منه فإذا أقر أنه ساحر فقد حل دمه . وكذلك العبد المسلم والحر الذى من أقر منهم أنه ساحر فقد حل دمه وهذا كله قول أبو حنيفة .

وقال بن شجاع فحكم فى الساحر والساحرة حكم المرتد والمرتدة وقال نقلا عن أبى حنيفة أن الساحر قد جمع مع كفره السعى فى الأرض بالفساد والساعى بالفساد إذا قتل قتل .

وروى عن مالك فى المسلم إذا تولى عمل السحر قتل ولا يستتاب لأن المسلم إذا أرتد باطنا لا تعرف توبته باظهارة الإسلام فأما ساحر أهـــل الكتاب فأنه لا يقتل عند مالك إلا أن يضر بالمسلمين فيقتل .

وقال الشافعى لا يكفر بسحره فإن قتل بسحره وقال سحرى يقتل مثله ، وتعمد ذلك قتل قودا وان قال قد يقتل وقد يخطىء لم يقتل وفيه الديه .

---

(١) البحر المحيط لأبى حيان جـ ١ ـ ٣٢٨

وقال الإمام أحمد يكفر بسحره قتل به أولم يقتل ، وهل تقبل توبته عنه فى ذلك روايتان :

فأما ساحر أهل الكتاب فإنه لا يقتل إلا أن يضر بالمسلمين (١) .

وقد إختار البخارى القول بكفر الساحر لقوله تعالى (وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر) فإن ظاهرها أنهم كفروا بذلك ولا يكفر بتعليم الشيء إلا وذلك الشيء كفر ، وكذا قوله فى الآية عن لسان الملكين (إنما نحن فتنة فلا تكفر) فإن فيه إشارة إلى أن تعلم السحر كفر فيكون العمل به كفر اهـ (٢) .

وقال بن حجر وقد إستدل بقوله تعالى (واتبعوا ماتتلوا الشياطين) على أن السحر كفر ومتعلمه كافر ، وهو واضح فى بعض أنواعه التى قدمتها وهو التعبد للشياطين أو الكواكب وأما النوع الآخر الذى هو من باب الشعوذة فلا يكفر به من تعلمه أصلا .

وقال النووى عمل السحر حرام وهو من الكبائر بالاجماع وقد عده النبى صلى الله عليه وسلم من السبع الموبقات ومنه ما يكون إكفرا ، ومنه مالا يكون كفرا بل معصية كبيرة فإن كان فيه قول أو فعل يقتضى الكفر فهو كفر وإلا فلا .

وأما تعلمه وتعليمه لحـــرام ، فإن كان فيه ما يقتضى الكفر كفر واستتيب منه وإلا يقتل ، فإن تاب قبلت توبته وإن لم يكن فيه مايقتضى الكفر عذر .

وقد إستدل من ذهبوا إلى عدم كفر الساحر بقوله تعالى (ولا يفلح الساحر حيث أتى) وقالوا إن فى الآية نفى الفلاح عن الساحر وليست فيه دلالة على كفر الساحر .

---

(١) الألوسى جـ ١ صـ ٣٤٠

(٢) فتح البارى جـ ٢٩ صـ ٣٥٤ الكليات الأزهرية .

وان كثر فى القرآن إثبات الفلاح للمؤمن ونفيه عن الكافر ولكن ليس فيه ما ينفى الفلاح عن الفاسق وكذا العاصى .

وخلاصة آراء الأئمـــة فى هذه المسألة أن أبا حنيفة يذهب إلى كفر الساحر ويبيح قتـــله ولا يستتاب عنده ، والساحر الكتابى حكمه كالساحر للمسلم .

أما الشافعى فيقول بعدم كفر الساحر ولا يقتل عنده إلا إذا تعمد القتـــل .

وأما مالك : فيرى قتل الساحر المسلم لا ساحر أهل الكتاب ويحكم بكفر الساحر .

هذا وقد حذر الإسلام من تعاطى السحر للأذى وجاءت تعاليمه بذمه وتحريمه وتوعد مرتكبه بالعقوبات الأليمة فى الحديث الشريف (حد الساحر ضربه بالسيف) .

وهذه هى أدلة القائلين بكفر الساحر :

١ — ماروى عن نافع عن بن عمر أن جارية حفصة سحرتها وأخذوها فاعترفت بذلك، فأمرت عبد الرحمن بن زيد فقتلها، فبلغ ذلك عثمان فأنكره فأتاه بن عمر وأخبره أمرها ، فكأن عثمان إنمـــا أنكر ذلك لأنها قتلت بغير أذنه .

٢ — ماروى عمرو بن دينار أنه ورد كتاب عمر رضى الله عنه أن أقتلوا كل ساحر وساحرة ، فقتلنا ثلاث سواحر .

٣ — قال على بن أبى طالب أن هؤلاء العرافين كهان العجم ، فمن أتى كاهنا يؤمن له بما يقول فقد برىء مما أنزل الله على محمد ﷺ .

أما القائلون بعدم كفر الساحر فقد احتجوا بأن الساحر اليهودى لايقتل لأنه عليه الصلاة والسلام سحره رجل من اليهود يقال له لبيد

ابن الأعصم وامرأة من يهود خيبر يقال لها — زينب — فلم يقتلهما فوجب أن يكون المؤمن كذلك ، لقوله عليه الصلاة والسلام (لهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين) .

وأجابوا عن استدلال القائلين بأن عمر أمر بقتل السحرة فقالوا لعل السحرة كانوا من الكفرة فإن حكاية الحال يكفي في صدقها صورة واحدة .

هل يستخرج السحر أم لا :

ذهب سعيد بن المسيب إلى جواز استخراج السحر قال قتادة قلت لسعيد بن المسيب : رجل به طب أو يأخذ عن امرأته أيحل عنه أو ينشر ؟ قال لا بأس به إنما يريدون به الإصلاح فأما ما نفع فلم ينه عنه .

وأخرج الطبري في التهذيب عن طريق يزيد بن زريع عن قتادة عن سعيد بن المسيب أنه كان لا يرى بأسا إذا كان بالرجل سحر أن يمشي إلى من يطلق عنه ، فقال هو صلاح .

وقد سئل الإمام أحمد عمن يطلق السحر عن المسحور فقال لا بأس به وهذا هو المعتمد .

وذهب الحسن البصري إلى كراهة ذلك وكان يقول لا يعمله إلا ساحرا وقد أخرج أبو داود في المراسيل عن الحسن رفعه (النشرة من عمل الشيطان) ووصله أحمد وأبو داود بسند حسن عن جابر قال بن الجوزي النشرة حل السحر عن المسحور ولا يكاد يقدر عليه إلا من يعرف السحر .

وقد أجاب المجيزون لاستخراج السحر والسعي إلى إبطاله عن الحديث الذي رواه الحسن بأن قوله النشرة من عمـــل الشيطان أشارة إلى أصلها ، ويختلف الحكم بالقصد . فمن قصد بها خيرا كان خيرا وإلا فهو شر .

وقالوا أن الحصر المنقول عن الحسن فى قوله لايعمل ذلك إلاساحرا ليس على ظاهرة لأن السحر قد ينحل بالرق والأدعية والتعويذ . ولكن يحتمل أن تكون النشرة نوعين :

ويوافق قول سعيد بن المسيب حديث جابر عند مسلم مرفوعا (من أستطاع أن ينفع أخاه فليفعل) .

ويؤيد مشروعية النشرة حـــديث قوله ﷺ العين حق فى قصة أغتسال العائن .

وقد أخرج عبد الرازق من طريق الشعبى قال لا بأس بالنشرة العربية التى إذا وطأت لا تضيره ، وهى أن يخرج الإنسان فى موضع عضاه فيأخذ عن يمينه وعن شماله من كل . ثم يدقه ويقرأ فيه ثم يغتسل به . وذكر ابن بطال أن فى كتب وهب ابن منبه أن يأخذ سبع ورقات من سدر أخضر فيدقه بين حجرين ثم يضربه بالماء ويقرأ فيه آية الكرسى والقواقل (المعوذتين والأخلاص) . ثم يحسو منه ثلاث حسوات ثم يغتسل به فأنه يذهب عنه كل مابه وهو جيد للرجل إذا احتبس عن أهله .

وقال بن كثير بعد أن ذكر هذه الفائده وأنفع ما يستعمل لأذهاب السحر ما أنزل الله على رسوله فى أذهاب ذلك وهما المعوذتين .

وفى الحديث (لم يتعوذ بمثلها) . وكذلك قرأة آية الكرسى فأنها مطردة للشيطان .

وممن صرحوا بجواز النشرة المازنى صاحب الشافعى وأبوجعفر الطبرى وغيرهما .

والله أعلم

الخاتمـــة

هذا .. ومما هو غنى عن البيان أن أذكر أن الكتاب والسنة قد جاء فيهما ما يفيد ذم السحر والسحرة، وما يدعوا المسلمين إلى عدم تصديق الدجالين والمشعوذين . فلو كان هؤلاء يستطيعون نفعاً . لنفعوا أنفسهم. والواقع المشاهد يدلنا على أن الذين يشتغلون بالسحر والشعوذة تكون نهايتهم سيئة وخاتمة حياتهم بؤس وعفلة ومهما جمعوا من مال فإنهم يموتون فقراء ، وترى وجوههم دائماً عليها غبرة ، ترهقها قترة .

وصدق الله العظيم القائل (ولا يفلح الساحر حيث أتى) وقال الإمام على كرم الله وجهه (من أتى كاهناً يؤمن له بما يقول فقد برئ مما أنزل الله على محمد ﷺ) . وقد عد الرسول ﷺ السحر من السبع الموبقات أى المهلكات .

هذا وقد وردت كلمة (سحر) ومشتقاتها فى القرآن الكريم نحو إثنين وستون مرة . وقد أفاض القرآن الكريم فى الحديث عن سحرة فرعون كما جاء فى سورة البقرة الحديث عن سحر هاروت وماروت . ولو لا ضيق المقام لتناولت الآيات التى تحدثت عن سحرة فرعون وعن هاروت وماروت بشىء من التفصيل .

وأسأل الله التوفيق والسداد . وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ; وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

دكتور

عبد المنعم ممدوح رماح